Al-Mukhtar Journal of Social Science 43 (2): 264-281, 2025
Doi: https://doi.org/10.54172/pcz83q35

Research Article Open Access

الآثار السياسية والاقتصادية والعلمية لتمرد قبائل الغز في خراسان (548 – 552هـ/ 1153 -1157)

أسامة سعد الشيلابي*[1]

الباحث الاول[1]*: أسـامة الشـيلابي، قسـم التاريخ، جامعة اجدابيا، ليبيا

المستخلص: ساهم تمرد قبائل الغز في قلب موازين السياسة بعد تفتيت أراء السلطان سنجر ومعاونيه في التصـدي لفعلهم الإجرامي، كذلك برزت الطبيعة السـيكولوجية لهذه القبائل في التمرد على ولاه الأمر وخلق الفتن، كما انعكس التمرد على تردي النواحي الاقتصـادية وتفشـي المجاعة وهجرة السـكان من جراء العنف والقتل، فيما اصـطدام العلماء والفقهاء بأفعال الغز المنافية للعلم والعقيدة فلم يردعهم الوازع الديني ولا النصح في الرجوع عن غيهم وجرائمهم.

الكلمات المفتاحية: قبائل الغز. خراسان. السياسة. العلماء.

[1]***Corresponding author:**
Osama S. ElShilabi
osama_elshilabi1979@yhoo.com.
Department of History, University of Ajdabiya, Libya

Received:
13/08/2025

Accepted:
26/11/2025

Publish online:
31/12/2025

The Political, Economic, and Scientific Impacts of the Ghuzz Tribes' Rebellion in Khurasan (548-552 AH / 1153-1157 AD)

Abstract: The rebellion of the Ghuzz tribes contributed to a shift in the political balance, especially after Sultan Sanjar and his advisors failed to unite in confronting their criminal actions. The psychological nature of these tribes emerged clearly in their defiance of authority and their role in inciting sedition. The rebellion also led to a deterioration in economic conditions, widespread famine, and mass migration due to violence and killings. Furthermore, scholars and jurists clashed with the Ghuzz over their actions, which contradicted both religious doctrine and knowledge. Despite religious admonitions and sincere counsel, the Ghuzz were not deterred from their wrongdoing and crimes.

Keywords: Ghuzz Tribes, Khurasan, Politics, scholars.

The Author(s) 2024. This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/) , which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium ,provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

المقدمة:

تأثر إقليم خراسان خلال عصر السلطان سنجر السلجوقي بتمرد قبائل الغز وتسلطها على نواحي الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، حيث عبرت قبائل الغز عن تاريخها في نكث العهد وقطع الطرق والخداع الذي جُبلت عليه في مناطق معيشتهم الأولى في أواسط آسيا الصغرى؛ عند قتلها لمبعوث السلطان سنجر حاكم إقليم خراسان لجباية الجزية المقررة عليهم جراء معيشتهم واستقرارهم وتمتعهم بخيرات الدولة السلجوقية في خراسان وما حولها، فكان هذا التمرد بمثابة كرة اللهب التي أشعلت إقليم خراسان ودمرت نظامه السياسي وأحرقت موارده الاقتصادية وأطاحت بمنارته العلمية.

مشكلة الدراسة:

تكمن في تبيان التأثير الجوهري لقبائل الغز في الإطاحة بالنظام السياسي في خراسان والطرق والأساليب السياسية والعسكرية والاستراتيجية المتبعة في قيادتها للتمرد ضد السلطان السلجوقي في خراسان، ونتائج الفراغ السياسي على إقليم خراسان وما حوله، ومن ثم توضيح ملامح سياسة العنف والأرض المحروقة في اجتياح قبائل الغز لإقليم خراسان وتداعياتها على النشاط الزراعي وأحوال التجارة ومنافذها الداخلية والخارجية.

أهمية الدراسة:

الغوص في أسباب النزاع السياسي والعسكري لقبائل الغز ضد حاكم خراسان وعلاقاتها بالجينات المتطرفة للقبائل المتمردة، كذلك التطرق للأسباب الجوهرية التي أدت إلى هزيمة السلطان سنجر في حربه ضد قبائل الغز وآثارها السياسية في رسم نهاية حكم السلطان سنجر والقضاء على كامل الدولة السلجوقية في خراسان.

أهداف الدراسة:

توضيح انعكاس الصراعات والأزمات التي مر بها سلطان خراسان لتثبيت دعائم حكمه على قدرته في القضاء على تمرد قبائل الغز، ومدى قدرة القبائل المتمردة في تسيير أمور الدولة في ظل حجز السلطان الشرعي، ومدي نجاح المؤسسات العلمية والشرعية في تقديم نشاطها الفكري في ظل المد الغزي، كذلك توضيح الدور الإصلاحي والنقدي لعلماء إقليم خراسان وطرق تصديهم لتمرد قبائل الغز ونتائج وقوفهم في وجه تعدى قادة الغز على مؤسسات الدولة الشرعية والعلمية والكنوز العلمية في شتى أنواع العلوم.

منهج الدراسة:

اعتمدت الدراسة على توظيف المنهج السردي التاريخي لدراسة الأحداث التاريخية والخوض في غمار الأساليب الحربية وطرق دفاع قبائل الغز عن مواطنهم، ومن ثم توظيف المنهج الوصفي التحليلي في وصف تحايل قبائل الغز لخداع السلطان وجنده وتفريق كلمتهم، وتحليل مدي نجاح خطط قبائل الغز العسكرية

والاستراتيجية في هزيمة جيش السلطان سنجر، كذلك وصف الحالة الاقتصادية للدولة وتحليل الآثار الاقتصادية والعلمية المترتبة على تمرد القبائل الغزية في خراسان وما حولها.

خطة الدراسة:

تجسدت الدراسة في مقدمة وأربع مباحث وخاتمة وقائمة للمصادر والمراجع، حيث تناول المبحث الأول أصل قبائل الغز وأساليب حياتهم في موطنهم الأصلي وصفاتهم وعقائدهم، فيما يتطرق المبحث الثاني لسرد أسباب تمرد قبائل الغز على السلطان سنجر السلجوقي حاكم خراسان وجنده والأساليب السياسية والعسكرية في حربهم ضد السلطان وهزيمته، ونتائج ذلك على النظام السياسي في الدولة السلجوقية في إقليم خراسان، ومن ثم يفصل المبحث الثالث طبيعة الموارد الاقتصادية في خراسان في عهد السلاجقة وتأثير تمرد قبائل الغز على النشاط الاقتصادي والحركة التجارية في خراسان من جراء ذلك، بعد ذلك يبين المبحث الرابع انعكاس هجمات قبائل الغز على النظام التعليمي في إقليم خراسان المتمثل في المساجد والمدرس العلمية وحلقات الدروس والمكتبات، وطرق معاملتهم للعلماء والفقهاء في سبيل تثبيت حكمهم، وينتهي البحث بخاتمة لأهم النتائج وقائمة للمصادر والمراجع.

الدراسات السابقة:

1- طقوس، محمد سهيل(2016م) تاريخ السلاجقة في خراسان وإيران والعراق، دار النفائس، ط2.

يتناول الكتاب التاريخ السياسي لدولة السلاجقة في خراسان وإيران والعراق، وينقسم إلى تسعة أجزاء يخوض فيها في تفاصيل قيام الدولة السلجوقية وعصور سلاطينها في خراسان والثورات والمشاكل الداخلية والخارجية في جميع عصور سلاطين الدولة في خراسان وغيرها، فقد عرج المؤلف على دراسة ثورة قبائل الغز وتمردهم في خراسان بإيجاز، ولم يتطرق للأساليب العسكرية والاستراتيجية في هزيمة القبائل الغزية للسلطان سنجر في خراسان، كذلك لم يستعرض الآثار الاقتصادية المترتبة عن هجمات الغز ونزوح السكان عن مناطقهم، فضلا عن نتائج هجمات الغز على المستوى العلمي في قتل العلماء وتدمير المؤسسات العلمية.

2- مصطاف، ثامر نعمان(2019م) التحديات العسكرية التي واجهت حكم السلطان سنجر وأثرها في إضعاف السلطة السلجوقية، مجلة كلية التربية، العدد السابع والثلاثون، العراق.

تخوض الدراسة في تاريخ سلاطين السلاجقة والاحداث والنزاعات التي خاضها السلطان حتى وصل لحكم إقليم خراسان والدولة السلجوقية والعلاقات السياسية والعسكرية مع الدول المجاورة لحكمه وأثرها على دولته، ومن ثم يسرد نزعات السلطان سنجر حاكم خراسان مع قبائل الغز المتمردة واستحواذها على مقاليد الحكم في خراسان. تطرق البحث لمعلومات جيده عن الصراع السياسي للسلطان سنجر في خراسان مع قبائل الغز ودورها في الإطاحة بحكمه، غير أنه أغفل أسباب هزيمة السلطان سنجر في معركته ضد الغز ونتائج الفراغ السياسي على توقف النشاط الاقتصادي وتجمد طرق التجارة الداخلية والخارجية وانعكاسها على حياة الناس في خراسان وما حولها.

3-خربوطلي، شكران (2012م) الحياة الفكرية في إقليم خراسان في ظل سلاطين ووزراء العصر السلجوقي، مجلة دراسات تاريخية، العددان،117،118، العراق.

تطرقت الدراسة لسرد ملامح مختصرة عن التاريخ السياسي لإقليم خراسان في عصور متلاحقة حتى عصر السلطان سنجر السلجوقي، ومن ثم وصف دور حكام السلاجقة في إثراء الحركة العلمية في خراسان والإشارة إلى جهود السلطان سنجر في دعم العلم وتشجيع العلماء، من ناحية أخرى لم يوضح البحث تأثير النزاع مع قبائل الغز في خراسان على النواحي العلمية وسياستهم الهمجية في تدمير معالم الحضارة في خراسان وسبل قضائهم على الفقهاء وعلماء خراسان باعتبارهم أعداء الكلمة وأهل النصح والإرشاد.

فقد لعبت الطبيعة السيكولوجية لقبائل الغز المتمردة دورا هاما في مسار أفعالهم وتحركاتهم العسكرية وأساليب قتالهم الهمجية وعدم التفريق بين القوي والضعيف والأطفال والنساء ودور العبادة ومؤسسات التعليم فالكل كان متاحا للتدمير والقتل والتهجير فلا قيم تردعهم ولا دين متأصل يمنعهم ما يفسر أنهم قبائل همجية بربرية لا تدين بعقيدة تمتهن الغدر والخداع والقتل لتحقيق أهدافها.

فيما أثرت هجماتهم سلبا على انهيار النظام الاقتصادي وتقلص السلة الغذائية لإقليم خراسان، كذلك دفع علماء الإقليم فاتورة بالغة الثمن لدورهم في التصدي لقادة قبائل الغز وحثهم على أتباع طريق الحق والعودة لجادة الصواب وتحكيم شرع الله مما جعلهم ضحية لقبائل همجية لا تفرق بين العلم والجهل ولا تقدر أهل العلم والمعرفة.

أولا" أصل قبائل الغز:

يرجع نسب قبائل الغز إلى القبائل التي تقطن منطقة وسط آسيا، حيث انتشرت في المنطقة بحثا عن أماكن موارد المياه والطعام والمراعي والمسكن، وتطلق كلمة الغز على المولودة عند العجم كما تطلق أيضا على جنس الترك والتركمان (المقريزي،1956م ،31/1)

تقطن قبائل الغز منطقة بلاد ما وراء النهر وعندما استولت قبائل الخطأ* على ملكهم خرجوا منها في اتجاه خراسان بأعداد كثيرة واستقروا في منطقة بلخ يزاولون رعى الماشية، حيث عاشوا في بيوت من الشعر لا يرجعون إلى حكمة أو نصيحة يمارسون حياة البدو الرحل بعيدا عن تعاليم النظافة وحياة الترف مما جعلهم أشداء في حياتهم أهل بأس وطبائع حادة يفضلون الغارات والغزو والتمرد (ابن الأثير،1979م، 178/11).

لم تكن لهذه القبائل ديانة معروفة بداية تواجدهم في بلاد ما وراء النهر فكانوا يعيشون على أرذل العادات، فيما يذكر البعض إنهم على الديانة المسيحية حتى دخولهم لبلاد الشام في عهد الخلافة العباسية حيث دخل بعضهم الإسلام وعملوا في مجال الترجمة بين قبائل الغز والمسلمين، ومن أشهر أسمائهم محمود ودينار ويختيار وأرسلان (ابو الفداء، 1980م، 39/2)

*قبائل الخطأ: قبائل تركية بوذية تعيش شمال الصين ثم انتقلوا بعد ذلك إلى تركستان وأقاموا فيها مملكة القراخطائيين وتوسعت مملكتهم حتى وصلت حدود سيبيريا، حيث هزمت هذه الدولة السلطان سنجر في موقعة قطوان سنة 536 هـ وقتل فيها عدد كبير من المسلمين وأُسرت زوجة السلطان سنجر في المعركة ولم يستطع تخليصها من أيديهم. أنظر عبد المعطي،2012م، 65/1.

كانت قبائل الغز في بداية دخولهم لبلاد خراسان تعيش في جماعات كبيرة وتقف مع من يقدم لها المأوى والطعام وسبل العيش ولا يعتدون على أحد، حيث ساهم في توطيدهم الأمير زنكي بن خليقة حاكم منطقة طخارستان وسمح لهم بالاستيطان في أرضه والتمتع بخيراتها طمعا في مساعدتهم له على الإطاحة بالأمير قماج حاكم منطقة بلخ المحاذية لمناطق حكمه وعنما سار بهم لقتال الأمير قماج غدروا به بعد استمالتهم من قبل قماج وقتل زنكي وأبنه من جراء ذلك (ابن خلدون، 1986م، 5/ 150)

أغدق الأمير قماج على قبائل الغز العطايا ومنحهم الأراضي والمراعي الصالحة للعيش والاستقرار فاستقروا بمنطقة بلخ بما يقارب مائة ألف خيمة أو مسكن فلم يعتدوا على أحد حتى تمكنوا وقويت شوكتهم (الرواندي، 1960م، 270).

من ناحية أخرى سرعان ما انقلبت قبائل الغز على الأمير قماج الذي مكن لهم الاستقرار في أراضي بلخ وذلك بمساندتهم للحسين بن الحسن الغوري في هزيمة الأمير قماج ودخولهم منطقة بلخ غير أن السلطان سنجر فزع لذلك وتمكن من إخراجهم وهزيمة الغوري ومن معه (ابن الأثير، 1979م، 179/11).

ظلت قبائل الغز على حالها تعيش في أراضي خراسان تزاول مهنة الرعي في الجبال في مقابل دفعها للجزية لمطابخ السلطان سنجر المقدرة بأربع وعشرون ألف رأس من الأغنام في المقابل كان المكلف بجمع الجزية شخصا ظالماً يعتدي ويظلم ويتعامل بالغش وطلب الرشوة ولما نفذ صبرهم عليه قاموا بقتله (مصطاف، 2019م، 280).

لما علم الأمير قماج بتمرد الغز غضب من فعلتهم لرفضهم دفع الجزية وقتل عامله على الخراج وطلب الإذن من السلطان سنجر لتأديبهم وتغريمهم على عصيانهم وتمردهم، وعندما طالبهم الأمير قماج بالغرامة المقدرة بثلاثين ألف رأس من الأغنام رفضوا التجاوب والدفع وعدم التدخل في شئونهم (طقوس،2012،2019)

سار الأمير قماج بجيشه لتأديب قبائل الغز على تمردهم وقتلهم لعامله وعندما سمعوا بقدومه تجمعت قبائلهم بمساعدة من قبائل الترك بقيادة القائد التركي بوقا، في حين توجه جيش قماج إلى مساكن الغز وأرسل مندوبا عنه ليطالبهم بما غرموا به جراء تمردهم وضرورة إلزامهم بالدفع فلم يعيروا لذلك اهتماما قائلين للمندوب: نحن رعية السلطان ولا نحتكم لأمر غيره؛ غضب الأمير قماج لردهم ولتحقيرهم من شأنه فأمرهم بترك منطقة بلخ والخروج منها فعصوه وانشقوا عن طاعته وأعلنوا التمرد (الأصفهاني، 1980م، ص 258)

لقد ساهم أمراء إقليم خراسان في تدعيم نفوذ قبائل الغز ومنحهم الأراضي للعيش والتكاثر، ومن ثم الاستعانة بهم في تقويض نفوذ خصومهم وفرض سيطرتهم على أملاك الدولة في مناطق متفرقة، مماساهم في تقوية شوكة قبائل الغز وتفضلهم على أمراء البلاد بمنحهم القوة والغلبة على خصومهم، فقد أعطى ذلك لقبائل الغز موقفاً من القوة والجبروت والضوء الأخضر في القيام بأعمال منافية للصواب في ظل عدم وجود الوازع وهشاشة الرادع.

تحشـــدت قبائل الغز لقتال الأمير قماج ودار بينهما قتالا شـــديدا هُزم فيه الأمير قماج وقتل ابنه وعددا كبيرا من جيشه فلم ينجوا منهم الصغير والكبير حتى النساء والأطفال وعلماء البلاد وفقهائها، فيما استولت الغز على مساحات كبيرة من أراضي بلخ وعاثوا فيها فسادا(مصطاف،2019،281)

ورجع قماج منهزما متوجها نحو سلطان البلاد للاستنجاد به ولرد كرامة جيشه ورعيته، ومن ناحية أخرى وصلت إلى مسـامع السـلطان سـنجر وأمراء الدولة تمرد قبائل الغز وجرائمهم في حق البلاد والعباد وتغطرسـهم في دفع الجزية وقتل عمالهم، فقد أشـاروا عليه بضـرورة التصـدي لظلمهم والوقوف في وجهه تمردهم وجعلهم عبرة لمن يحاول القيام بمثل فعلهم (الرواندي،2005م، 217)

وفي سبيل تهدئة الأمور وتجنبا لغضب السلطان سنجر* أرسلت قبائل الغز إلى السلطان تستميله وتخبره بأنهم عبيد مطيعون ماضون تحت سلطته، وقد اضطرنا إلى القتال خوفا على أطفالنا وديارنا وأموالنا ووعدوا بدفع مبلغ مائة ألف دينار وألف غلام تركي كدية لقتل ابن الأمير قماج، كما تعهدوا للسلطان بتقديم كل سنة خمسين ألف رأس من الخيل ومثلها من الغنم، والتعهد بدفع قيمة كل سنة من الجزية في موعدها، ليغفر لهم السلطان تمردهم ويتغاضى عن قتلهم لعامله على الجزية، غير أن إلحاح الأمراء على السلطان بضرورة ردعهم حال دون قبول عروضهم المغرية وقبل السلطان تأديب الغز على ما اقترفوه من أعمال قتل ونهب وسلب(الرواندي، 2005م،270)

عندما أعطى السلطان سنجر الأوامر بتجميع الجيش والاستعداد لقتال الغز وتأديبهم أندفع إليه أمراء قبائل الغز إليه يعتذرون منه وإنهم ما خرجوا إلا مكرهين على القتال من تجبر قماج عليهم وحماية لأهلهم وتعهدوا بدفع مائة الف دينار ذهبا وألف غلام تركي كدية، حيث أشار بعض أمراء الدولة على السلطان سنجر بقبول الفدية وتجنب قتال الغز في ظل اعتذارهم وتقديمهم للأموال والهدايا في سبيل العفو عنهم إلا أن السلطان سنجر لم يأخذ بذلك ورد على أمراء الغز رسائلهم وتعهداتهم بالرفض ما يمثل إعلانه الحرب عليهم (الكتبي، 1977م، 460/12)

اندفع السلطان سنجر تحت ضغط أمراء الدولة لقتال قبائل الغز في جيش عدده ما يقارب مائة ألف فارس فلما وصل إلى ديارهم سنة 548هـ/ 1153م خرج إليه الغز طالبين منه العطف والصفح فلم يجدى ذلك نفعا وأصر السلطان على تأديبهم فما كان عليهم إلا الاستعداد لقتال جيش السلطان فهبت الغز تدافع عن أهلها وديارها ببسالة وقوة منقطعة النظير فأذاقوا جيش السلطان الويل بسهامهم التي تصيبهم من كل جانب(طقوس،2016، 219) فقتل الكثير من أمراء السلطان منهم الأمير قماج حتى أرتد السلطان وجيشة مهزومين فلما وصلوا مرو

*السلطان سنجر : هو سنجر بن ملكشاه بن ألب أرسلان بن داوود بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق ، ولد في منطقة سنجار بالعراق سنة 479هـ، كان كريما عادل معروف بالحياء والوقار، وصل للحكم م بعد وفاة أخية محمد سنة 511هـ/1117م ولقب بالسلطان الأعظم ودعي له على المنبر في بلاد الشام والحجاز وأرمينية وخراسان وبلاد ماوراء النهر، تميز حكمه بالاستقرار والرخاء والعدل بين الناس حتى توفى بالمرض بعد فراره من سجن قبائل الغز سنة 552 هـ/1157م وهو في سن الثالثة والسبعون من عمره، ودفن في قبة من بنائه عرفت بالآخرة في مدينة مرو (الصفدي، 1979م، 471/15

ودخلت عليهم الغز بالقتل والتشريد والحرق وسبى النساء فلم يرحموا فيها من كان من الرجال والأطفال والعلماء (ابن الأثير، 1979م ، 202/9)

ثانياً: الآثار السياسية لتمرد قبائل الغز:

كانت غزوات قبائل الغز في عهد السلطان سنجر نقطة تحول سياسي كبير وتمرد على النظام السياسي والإداري في إقليم خراسان وتعدي على السلطات الحاكمة ورفض دفع الجزية لعامل الدولة خاصة عند مطالبة الأمير قماج بذلك، ومن هنا قادت الغز تمردا سياسيا وعسكريا على الدولة وزادت على ذلك في شن حرب جارفة على القرى والمدن التابعة لإقليم خرسان، فلم تبقى فيها على شيخ أو طفل مما شكل حدثا حربيا وأزمة سياسية تطيح بعرش السلطان سنجر ودولته.

استمرت قبائل الغز في زحفها على إقليم خراسان حتى أسرت السلطان سنجر في مرو بعد قتل الكثير من أعوانه حينها ترجل الغز عن خيولهم واجلسوا السلطان بينهم وأعلنوا طاعتهم له ووضعه على سدة الحكم كسلطان أسير لاحول له ولاقوه ونادوا في الخطبة باسمه وسعوا في تثبيته والطاعة والولاء له عادا قادة الغز قرعود وطوطي اللذان خاطبا السلطان بقولهم: إن قومك فتحو بالأذية ولم يحسنوا الرعية ونحن حولك نقول بقولك ونسمع قولتك، سألنك الصلح فأبيت وأنت سلطاننا فقد قتل من عندك ونحن عبيدك الأخرين (ابن الأثير، 1979م، 202/9)

تعرضت مدينة مرو لغزوات الغز على مرتين ذاقت فيها العذاب والدمار كلاهما في سنة 548هـ/1153م رغم ما أظهره أهل مدينة مرو من الشجاعة في الدفاع عن المدينة ومناصرة السلطان في الغزوة الثانية إلا أنهم اضطروا للاستسلام بعد أن اجتاحت قبائل الغز المدينة ثلاثة أيام متتالية نهبوا فيها الكنوز والثروات وحرقوا ديارها وقتلوا أهلها ، فقد تعرضت المدينة لطوفان من الخراب لم يمر عليها من قبل، ثم توجهت الغز لمدينة نيسابور فدخلوها دون مقاومة وأحرقوا ما فيها وقتلوا رجالها وأطفالها وأشعلوا النار في مساجدها ولم يسلم من شرهم بشر ولا شجر ولا حجر(ابن الأثير، 1979م، 205/9)

بعد تدمير نيسابور وحرقها جعل الغز على حكمها أميرا منهم فتجبر عليهم وأذاقهم العذاب وأفسد في الأرض حتى أمرهم بجمع أموالهم وتقديمها له، فتكاثر عليه أهلها وقتلوه على ظلمه وجوره، فلما سمع قادة الغز بذلك رجعوا للمدينة وقتلوا أهلها وأكملوا حرقها بمن فيها فلم يسلم من شرهم أحد (ابن الأثير، 1979م، 202/9)

استولت الغز على حكم السلطان وعبثت بأمور الدولة وسياساتها فكان السلطان سنجر قابع في الحكم كصورة فقط لا يملك من أمره شيئا، ووضع في قفص حديدي داخل خيمته وعليه حراسة مشددة من الغز تتناوب عليه كل أسبوع (مصطاف، 2019م، 281) كما قدرت الغز له راتبا لا يكفيه قوت يومه فكان يجمع الطعام ولا يأكل إلا قليلا تحسبا ليوم لا يجد فيه طعاما؛ ما يوضح الحالة المتردية للسلطان من جراء انقلاب الغز على حكمه (الحسيني، 1978م، 125)

بذلك تمكنت قبائل الغز من صبغ نفسها بصبغة السلطان فهو شرعية الحكم وبقائه تحت سيطرتهم يضمن استحواذهم على مقاليد الأمور في حين أعلنوا له الولاء والطاعة وتجنبوا غضبه وندمه على مهادنتهم له بقولهم نحن عبيدك وفي خدمتك فهو بمثابة واجهة الدولة وشرعيتها الظاهرة للناس ومن يتحمل عواقب الأمور وهم من يسير الحكم نيابة عنه وبذلك ضمن الغز ولاء عامة الناس وأهل البلاد.

كان السلطان سنجر كالسجين المتحرك يخرج في بعض الأحيان تحت حراسة مشددة من قبائل الغز وينظر لما يقومون به في حضرته من أعمال السلب والنهب والحرق والقتل فلا ينصتون لأوامره بالكف عن ذلك ولا يعيرون اهتماما لقدر السلطان ووجوده بينهم، فكان ذلك أصعب ما مر به السلطان سنجر في حياته من تمرد الغز وأسرهم له (الرواندي، 2005 ،277)

كان ذلك نوع من الخبث السياسي والقيادة الحكمية لقبائل الغز لمعركتهم ضد السلطان سنجر، فقد ضمنوا من ناحية بقاء السلطان تحت أيديهم وادارة الدولة باسمه فكانوا في الصباح يجلسونه على كرسي الحكم ويقدمون له الولاء وفي الليل يدخلونه في سجنه مكسور الإرادة مما جعلهم يكسبون شرعية الحكم ورضاء الرعية عن أفعالهم وعدم إظهار أنفسهم مغتصبين للحكم متشبثين ببقاء السلطان سنجر على قيد الحياة حاكم لخرسان باسمهم ومنفذا لأوامرهم.

ظل السلطان سنجر على حاله لمدة ثلاثة أعوام يسقيه فيها الغز أصناف العذاب المادي والمعنوي حتى تمكن سنة(551هـ/ 1156م) من الفرار من سجنهم بمساعدة مجموعة من أعوانه مستغلين تغافل الغز عنه بمدينة بلخ، وفي رواية أخرى تقول إن مملوكه الأمير مؤيد والى نيسابور السابق تمكن من رشوة مجموعة كانت تحرسه مقابل أموال طائلة يتحصلون عليها مقابل ذلك، حيث ساروا معه في رحلة صيد ومن ثم نقلوه إلى سفينة كانت مجهزة للفرار به ولم يستطع الغز اللحاق به حتى وصل إلى مدينة مرو فاجتمع حوله الناس و الأمراء والعساكر وبدأ في رص الصفوف للقضاء على تمرد قبائل الغز (الرواندي، 2005م ، 278)

بعد فرار السلطان سنجر من سجن القبائل المتمردة بعث ببرقية استنجاد للقائد نور الدين محمود* يصف فيها ما حدث له مع تمرد قبائل الغز وما وصلت إليه الحالة المتردية لدولته من الخراب والدمار على أيدي الغز وطلب مساعدته في قتالهم والتحالف معه لهزيمتهم (ابن الجوزي،1358هـ، 170/10)

وبينما السلطان سنجر يحاول التعافي من هزيمته اجتمعت عليه الأمراض فأصيب بمرض القولنج* وتوفي بسببه سنة (552 هـ/1157م) وهو في سن الثالثة والسبعون من عمره ودفن في القبة من شيدها لنفسه وعرفت بالآخرة

*نور الدين محمود: هو الملك العادل نور الدين أبو القاسم محمود بن عماد الدين أق سنقر ولد في مدينة حلب سنة 511هـ/ 1118 تربى على حب الفروسية والشجاعة محافظا على الصلاة كثير التدين عادلا محبا لعلوم الدين والحديث النبوي، تولى حكم حلب بعد وفاة والده، تمكن من ضم بلاد مصر وتصدى للحملة الصليبية الثانية حتى توفى على فراش المرض سنة 567هـ/1174م(ابن العماد ، 1986م، 6 /222)

* مرض القولنج: مرض شائع يسبب الألم في المعدة ناتج عن التهاب القولون في جسم الانسان، يصعب بسببه خروج الريح والبراز (الزيات، 1971م، 756/2)

في مدينة مرو، حيث أوقف الخطباء الدعوة له على المنابر بعد موته في يوم الجمعة ولم يجلس الناس في ديوانه لتقديم العزاء (أبن الوردي ،1970م، 92/2)

امتدت النهاية المؤلمة لملك السلطان لمن حكم بعده حيث لم يتمكن من خلفه من ردع قبائل الغز والاضعاف من قوتهم بل قويت شوكتهم وتمكنوا من السيطرة على مقاليد الأمور والعبث بمقدرات الدولة وبقى من حكم بعد السلطان سنجر كصورة فقط وعبث الغز بمقاليد الأمور، حيث تمكنت الغز من إضعاف حكم السلطان سنجر في إقليم خراسان والسيطرة السياسية والعسكرية على مقاليد الدولة، كذلك تعتبر حادثة القبض على السلطان تغير سياسي وحدث حزين في حياة السلطان لوقوعه في الأسر وانتهى بموته قهرا من جراء تمرد الغز و تحكمهم في مقاليد الأمور وتحجيم السلطان والظفر بكل امتيازاته وتجبرهم على الرعية وزعزعة الاستقرار السياسي للدولة والإطاحة بها.

ساعدت مجموعة من العوامل والأساليب المختلفة التي انتهجتها قبائل الغز للوصول الي غايتها وهزيمة السلطان سنجر واختطافه وإدارة الحكم نيابة عنه، حيث تجلت مهارتهم العسكرية في اختيار مكان المعركة في منطقة مفتوحة محاطة بالجبال ولا يمكن الخروج منها إلا من ممر ضيق فتمكنوا من وضع كمين محكم لقوات السلطان سنجر ودحرهم، من ناحية أخرى عدم معرفة السلطان سنجر وجنده بالمنطقة الجغرافية المحيطة بهم أثناء القتال جعلهم مفقودين في صحراء مفتوحة مجهولة التضاريس (الرواندي، م2005، 269)

كذلك من عوامل انتصار قبائل الغز على جيش السلطان سنجر الحرب النفسية والخداع الذي برهن عن ذكاء خارق للغز؛ حيث بينوا للسلطان سنجر وأمراء جيشه أنهم خاضعين ضعفاء ليس لهم قوة ولا خبرة لقتاله متوسلين إليه للصفح عنهم ومقدمين له كل فروض الطاعة والولاء والاعتذار عما بدر منهم، كما رفعوا المصاحف مطالبين بتحكيم شرع الله وموافقتهم على دفع الدية أضعافا مضاعفة، ومن هنا دب الخلاف وتباينت الأفكار بين قادة الجيش السلجوقي فمنهم من يرى ضرورة العفو وتجنب القتال وبعضهم الآخر يرى ضرورة تأديبهم ليكونوا عبرة لغيرهم مما جعل الاختلاف ينخر قوتهم وتنهار عزائمهم معتقدين بضعف قبائل الغز وسهولة ردعهم، ماجعل عنصر المباغتة مربكا للجيش السلجوقي عندما تفاجئ بقوة وصلابة قبائل الغز التي قاتلت جيش السلطان في أرض مفتوحة محاطين بأهلهم من والنساء والأطفال ما زادهم قوة وتماسكا (البيهقي ،1425هـ، 40/1).

من الاعتبارات التي انتهجتها قبائل الغز في وضع أطفالهم ونسائهم في وسط المعركة بأنها معركة حتمية ومصيرهم معلق بنتائجها أما الهزيمة وتشتت شملهم والقضاء عليهم أو النصر والحياة الكريمة لهم فكانت عائلاتهم بمثابة الداعم والمحفز في قوة اندفاعهم وصلابه ضرباتهم، من ناحية أخرى اختيارهم لمكان تحيط به الجبال ووجود ممرات سرية لا يعلمها إلا هم دليل على استثمار ما تعلموه في حياتهم السابقة في أواسط آسيا من دراسة الظروف المحيطة بهم واستخدامها لصالحهم.

وفي سياق متصل من أسباب تقهقر جيش السلطان سنجر ضعف السلطان وتفرق كلمته بين معاونيه وانهيار عزائمه فقد بلغ من عمره السبعين سنة، كذلك المشاكل الداخلية والخارجية لدولته خاصة صراعاتهم مع

القبائل والخوارزميين والدولة الغورية، حيث تبعثر جيش السلطان بين هذه الجبهات وانهارت قوة الدولة وتعمدت القبائل الانفصال وترك الطاعة والولاء له (الاصفهاني، 1980م، 354)

فقد اجتمعت العديد من العوامل في هزيمة السلطان سنجر وأعوانه من حكام الأقاليم في خراسان وما حولها، حيث عانى السلطان من طول فترة التصدي لخصومه داخليا ومجابهة الأطراف المعادية خارجيا، فضلا عن كبر سنه وفقدان السند في مجابهة الأخطار المحدقة بدولته، كذلك المشاحنات والتباغض بين أعوانه وتصفية الخلافات فيما بينهم ومحاولتهم إجبار السلطان سنجر على عدم العفو عن قبائل الغز وضرورة عقابهم فكانت بمثابة إيقاظ المارد الذي أطاح بحكمهم.

ثالثاً: الآثار الاقتصادية لتمرد قبائل الغز

بعد سيطرة قبائل الغز وهزيمة جيش السلطان سنجر عملوا على نشر الفساد والدمار في كل الأقاليم الخاضعة للدولة، فمن أول المناطق التي عاثوا فيها فساد منطقة بلخ العامرة بالخيرات الزراعية مثل السمسم والأرز واللوز والجوز والزبيب و العطور و الصابون وصناعة الصوف ودبغ الجلود وتصدير أشهر السلالات الحيوانية وغيرها، فلما وصلوا إليها نهبوا ما فيها من الأموال ودمروا محاصيلها وأحرقوا أسواقها وقتلوا أغنيائها، ثم عملوا على تمليكها لأنفسهم، حيث وصف بعض المؤرخين إنه بعد تخريب المدينة وسلب خيراتها طلب الغز من السلطان سنجر تقديمها لأحد أمرائهم يدعى بختيار وتخصص ملك له فكان رد السلطان بأنها دار الملك ولا تقطع لأحد فضحك بختيار ومن معه استهزاء برد السلطان وما وصلت إليه حالته من الضعف والهوان (ابن كثير، 1979م، 249/2)

استمر الخراب والدمار الاقتصادي لأراضي الدولة على أيدى قبائل الغز بعد أن وصلت منطقة مرو سنة 548هـ/1153م التي اشتهرت بتصدير القطن الرطب ومنتجاتها من البطيخ المجفف والمقدد، فعملوا على تدمير أراضيها الزراعية لمدة ثلاثة أيام ونهب ما فيها من الثروات من الذهب والفضة والحرير وسرقوا في اليوم الثاني المدخرات النحاسية والرصاصية والحديدية، وفي اليوم الثالث طالت أيديهم كل ما وصلته من الوسائد والمراتب والأخشاب فلم يتركوا فيها كنوزا ومعادن ثمينة تحت الأرض أو ثروات وأموال فوق الأرض كأنهم الجراد مسحوها على بكرة أبيها (الحموي، 2012م،352/3)

انتقلت آلة الخراب والدمار الاقتصادي لقبائل الغز إلى منطقة طوس حيث سلبوا ما فيها من الكنوز والذهب وحرقوا المباني والقصور وسرقوا مدخرات أهلها وقتلوا شيوخ وأعيان المنطقة فلم يتركوا فيها أرض تزرع ولا بيت يسكن ولا موارد مائية ولا أسواق تفتح وخرجوا منها وهي خاوية على عروشها (البيهقي، 1425هـ،1/ 44)

وفي سنة 549هـ/1154م هاجمت قبائل الغز منطقة نيسابور وهي أكثر المدن عمارة في خراسان كثيرة الخيرات متنوعة الفواكه والثمرات عظيمة الإنتاج من أصناف القطن والفيروز الأزرق معروفة بجودة منتجاتها من

الملابس القطنية، وتنطلق منها التجارة والقوافل المحملة بالبضائع وفراء الثعالب والحصر الجميلة النادرة إلى سائر بلاد الإسلام ومدن الغرب للتبادل التجاري فيما بينها (المقدسي، 1991م، 299)

وذلك دليل واضح على تطلعات قبائل الغز لامتلاك أراضي شاسعة من مناطق خراسان وما حولها تغذية لطموحاتهم في التوسع وتكذيبا لزعمهم بأنهم خاضوا الحرب للدفاع عن أرضهم ومساكنهم بل على العكس من ذلك تقدمت قبائل الغز نحو السيطرة على كل ما يوجد أمامهم من المزارع والبساتين والديار والأموال فلم يثنيهم شيئاً عن تحقيق أهدافهم التوسعية على حساب ملك الدولة السلجوقية وسلاطينها.

كما استولوا على إنتاج منطقة نيسابور الزراعي وصناعاتهم القطنية فأصبحت أسواقهم خالية لا بيع فيها ولا شراء ثم ردموا ما فيها من الآبار ومصادر المياه فهجرها أهلها بعد خرابها (طقوس،2016م،220) وأنتشر فيها الجوع والغلاء حتى أصبحت مكانا للوحوش والهوام من جراء قتلهم لأهلها وتكويم جثثهم فوق بعضها كالجبال فلم يدخلها مسافر قط ولم يستظل بأشجارها صاحب حاجة (الرواندي، 2005م، 276)

لم يكتفى الغز بذلك بل عينوا حاكما ظالما على نيسابور فسق بأهلها ونكل بهم وقام بتعليق ثلاثة غرار في السوق وطلب منهم جمع ما لديهم من ذهب بداخلها، فخرج عليه أهل المدينة وقتلوه، فلما علمت الغز بمقتله عادت للمدينة وقتلوا من فيها واحرقوا بيوتهم (ابن الأثير، 1979م، 202/9)

اجتاحت قبائل الغز كل مناطق إقليم خراسان واعملوا فيها قتلا وتدميرا حتى وصلوا إلى نواحي نيسابور وشهرستان وبحر آباد، غير أنهم لم يتمكنوا من اقتحام مدن دهستان وهراه لصعوبة تضاريسها وقوة تحصيناتها (الذهبي، 2006م، 128/4)

والجذير بالذكر إن اقتصاد إقليم خراسان كان يعتمد بشكل كبير على الإنتاج الزراعي، فكانت الأسواق التجارية في مرو ونيسابور بها مخازن كبيرة مخصصة لبيع المحاصيل من القمح والشعير والبصل والثوم وغيرها، فقد تعرضت تلك المحاصيل للتلف في مخازنها بعد حرق الأسواق في مرو ونيسابور وبلخ، كما اشتعلت النيران في الأراضي الزراعية المنتجة لهذه المحاصيل ما يعتبر كارثة اقتصادية على إقليم خراسان وما حولها ونتج عنها ظهور المجاعة ونزوح السكان عن المنطقة بفعل غارات قبائل الغز على البساتين والأسواق (أبن النظام،1979م،54)

هذا ما يفسر اعتماد قبائل الغز في حربها على السلطان سنجر على قوة التدمير والأرض المحروقة في سبيل طمس كل شي في طريقها كنوع من فرض القوة والإخضاع الكامل، مشابهة لسياسة المغول عند احتلالهم لمدينة بغداد واعتمادهم على أسلوب كرات اللهب الجارفة التي لم تبقى حجرا ولا بشرا، فقد ساهمت سياسة قبائل الغز الحارقة لكل شي في زرع الخوق في قلوب الناس وتنفيذ أوامرهم في جمع الأموال وقطع الأراضي تجنبا لشرورهم.

وفي ميدان التجارة الداخلية ساءت أحوال المنطقة وتوقفت تماما في المناطق التي تعرضت لقطع الطرق على يد قبائل الغز، حيث لم يستقر الأمن بين الطرق التجارية في خراسان ما نتج عنه عزوف التجار عن نقل

بضائعهم والخوف من تعرضها للنهب، كذلك عند سجن السلطان سنجر وموته ضعفت السلطة المركزية لسلطان خراسان وتقلص نفوذه خاصة بعد فقدان السيطرة على أقاليم ما وراء النهر مما زاد في زعزعة أمن المسافرين والتجار والقوافل التجارية عبر الطرق التجارية (هايد،1985م، 98)

ولا يختلف الوضع في الطرق التجارية الخارجية لإقليم خراسان خلال هجمات قبائل الغز التي حرمت المنطقة وبلاد الترك والصين من أجود البضائع، حيث يمر أهم الطرق العالمية من خراسان ما يعرف بطريق خراسان العظيم أو الخط الأعظم يربط مدن خراسان ببغداد ومن ثم يسير حتى يصل بخارى وسمرقند ثم ينقسم إلى طريقين الأول يسارا إلى طشقند والآخر يمينا إلى الصين حيث بلغت المسافة من خراسان إلى الصين مسير أربعة أشهر (لسترنج،1985م، 24)

إلى جانب الطريق التجاري الهام الذي يمر عند مصب نهر السند نحو بلاد فارس مرورا بولاية سجستان ومن هناك تنقل القوافل بضائعها نحو خراسان وبخاري شمالا، إضافة للطريق التجاري مع الروس حيث تنقل البضائع من هنالك عبر بحر قزوين إلى مناطق مرو وبلخ وبخاري ومنها إلى بلاد الصين حيث يستعمل التجار المسيحيون هذا الطريق لنقل منتجات جلود الثعالب والسيوف والشمع والعسل ويدفعون الجزية للمسلمين مقابل نقل هذه البضائع (أدم متز، 1947م 416/2)

نقلت هذه الطرق والقوافل التجارية المنتجات المختلفة إلى بقاع بعيدة حيث مثلت تجارة الحرير موردا يدر الأموال على الدولة فكانت مدينة بلخ ومرو تتوسط طريق الحرير ومنها إلى بلاد الهند، كذلك ساهمت طريق الحرير في نقل الثقافات والزهور النادرة، كما نقلت أشهر سلالات الخيول والجِمال من مدينة بلخ إلى مدن العالم الخارجي (سرور، 1985م، 149)

كان لهجمات قبائل الغز على أشهر المدن التجارية مثل بلخ ومرو ونيسابور أثرا عكسيا ساهم في توقف حركة التجارة الخارجية بين هذه الطرق المؤدية إلى بلاد الروس والصين والهند، حيث زرعوا الرعب في قلوب التجار ونهبوا بضائعهم المعدة للتصدر، ثم هاجموا القوافل التي تعبر الطريق العظيم الذي يعد الشريان التجاري لإقليم خراسان وقطعوا الطرق وسلبوا قوافل الحرير والمنتوجات النادرة، فكان تمرد قبائل الغز عاملا في توقف النشاط التجاري لمدن إقليم خراسان وما جاورها، إلى جانب الفراغ السياسي و انعدام الردع العسكري في المناطق التي تعد محور التجارة الداخلية والشريان التجاري نحو دول العالم الخارجي، كذلك ساهم ضعف سيطرة السلطان سنجر عليها وتقلص نفوذه في ظل سيطرة قبائل الغز على مقاليد الحكم في نهب موارد الدولة الاقتصادية وتدمير أسواقها وقطع طرق تجارتها الداخلية والخارجية.

رابعاً: الآثار العلمية لتمرد قبائل الغز

كانت الآثار العلمية والثقافية لتمرد قبائل الغز في خراسان وما حولها عظيمة النتائج، حيث طالت أيديهم دور العلم والمساجد والمكتبات فدمرت المساجد وقتل روادها من أهل العلم وطلاب الفقه والمحتمين بها من أهل

البلاد جراء طغيان الغز وجبروتهم، ما يوضح تجبر قبائل الغز على مقدسات الإسلام ودور العبادة ومؤسسات التعليم الشرعي فلم يقف في طريقهم شيخا ولا عالما إلا قتلوه ودمروا مقدساته.

ويؤكد ذلك عندما دخلت قبائل الغز منطقة نيسابور أعدموا علمائها وقضاتها وزادوا على ذلك بعد فرار الناس من هول جرائمهم واحتموا بالمسجد المعروف بالجامع المنيعي اقتحموا الجامع وقتلوا ما فر إليه وأحرقوا ما فيه من كتب دينية وعلمية دون مرعاه لحرمة الدم والدين والمقدسات الإسلامية.

عرف عصر السلطان سنجر بتكريم العلم والعلماء والتقرب إليهم والميل إلى أهل الزهد والصلاح رغم قلة علمه، فانتهج في خراسان سياسة تقديس العلماء والحرص على العلم حتى كثرت في عهده مجالس العلم والأدباء الفرس من أهل الشعر والنثر، بعد أسر السلطان سنجر انعكس الحال حيث لم تهتم الغز بالعلم ولا العلماء ولا مجالس الفقهاء الذين كانوا من دعاة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والذين قابلتهم قبائل الغز بالقتل والحرق (خربوطلي،2012م،196)

كذلك سار وزراء السلطان سنجر في خراسان على طريقته في احترام العلم وتبجيل العلماء وبناء المدارس العلمية والتقرب من أهل العلم وخاصته، فقد كان وزيره شهاب الإسلام عبد الرزاق بن الفقيه (ت 515هـ/1121م) من علماء نيسابور من أهل الورع والعلم في القضاء وفروع الدين، كذلك الوزير قوام الدين أبو القاسم بن حسن الدركزيني (ت 527هـ/1132م) من أهلم والفضل متبحرا في فنون الشعر والإنشاء ساهم في دعم العلم وبناء الخوانق والمؤسسات العلمية في خراسان(خربوطلي،2012م،197)

امتد الطوفان الهمجي لقبائل الغز لتدمير المساجد في نيسابور منها مسجد المطرز الكبير الذي يتسع لألفي شخص تعقد فيه المجالس العلمية ومجالس الإملاء والإجازات العلمية ومجالس الوعظ المشهورة بالنصح فدمروه وأحرقوا الخشب الذي يغطى بنائه وقتلوا كل من دخله متحصنا فيه من هجماتهم حتى أصبحت جثثهم فوق بعضهم كالجبال (أبن تغري بردي، 1978م ،319/5)

ساهم أهل مدينة مرو في بناء المدارس والجامعات مما جعلها من أهم مراكز العلم في العصر السلجوقي، وشهدت البلاد نهضة ثقافية في جميع ميادين العلوم والحضارة الإسلامية(خربوطلي،2012م،179) فلم تسلم مؤسساتهم العلمية من هجمات الغز، حيث تعرضت جامعتين فيها للحنفية والشافعية يجمعهما سور واحد للتدمير والحرق على يد الغز بعد نهب عشرة خزائن بهما معدة للوقف تحوي الكثير من الكتب والمخطوطات العلمية في شتى العلوم (الحموي، 1988م، 253/8)

لم يكن علماء منطقة نيسابور وماجورها في مأمن من هجمات الغز حيث تعرض علمائها للقتل والإبادة والحرق فكثيرا ما كان علماء نيسابور يجادلون قادة الغز عند غزوهم للمدينة ويدعونهم للرجوع عن أفعالهم وترك ما حرم الله والعودة لتحكيم الصواب، ليرد عليهم الغز بالقتل والعذاب، فلم يسلم علماء المدينة من الرجال والنساء من بطشهم ولم يرحموا فقيها و لا عالما من عذابهم، كما تعرضت المكتبات للحرق والتدمير ومنها مكتبة

ابن عقيل التي جمعت كتب ومخطوطات علمية تعود لعقود ســـابقة فحرقوا ما بها من نفائس الكتب في العلوم المختلفة (الجوزي، 1358هـ ،165،110)

وفيما يلي نســرد أشــهر علماء إقليم خراســان الذين تعرضــوا للقتل والإبادة والتعذيب على يد هجمات الغز ومنهم مايلي:

- **أبو عبد الرحمن أحمد بن الحســين:** من علماء نيســابور ولد فيها ســنه 472هـ عرف عنه العلم والفقه والكتابة، تولى التدريس في مســاجد نيســابور حتى قتل على يد هجمات الغز في شــوال ســنة 549هـ/ 1154م (الذهبي ،1995م، 305/37)
- **أبو القاسم إسماعيل بن جامع:** ولد في نيسابور من أهل العلم والفضل رحل إلى منطقة بلخ وخدم مع الأمير قماج التركي فنعمه وأغدق عليه الأموال، كان عالما جليلا فقيها في القرآن والحديث حريصا على صــلاة الجماعة زاهدا في الدنيا، جادل الغز وجالســهم وانتهت حياته على أيديهم بصــلبه في ربيع الأول سنة 549هـ/1154م (السمعاني، 1986م، 87/1)
- **أبوعلي الحسن بن علي القطان:** من أهل مدينة بخاري هاجر للاستقرار في منطقة مرو، عرف عنه العلم واللغة والفقه والبلاغة، حاذقا في علوم الفلسفة ماهرا بصناعة الطب وأساليب العلاج، قتل على يد الغز سنة 548هـ/1154م عن عمر ثلاثة وثمانين سنة حيث غمر الغز فمه بالتراب بعد معارضته لهم على هجماتهم الدموية، وقد ألف العديد من الكتب العلمية منها كتاب الرسائل في الطب وكتاب الدوحة في علم الأنساب ومؤلفاته باللغة الفارسية في علم الفلك (الزركلي، 2002م، 202/2)
- **أبو البركات عبد الله بن محمد بن الفضل:** ولد سنة 474هـ في مدينة نيسابور كان والده من أهل العلم والفضــل والفقه فســار على نهج والده عالما فقيها حســن الأخلاق والعلم والفضــل والإمامة والكتابة، حيث تولى إمامة مســـجد المطرز بنيســـابور وقتل على أيدى قبائل الغز في ســـنة549هـ/1154م (الذهبي، 2006م،57/15)
- **أبو الحســن علي بن ناصــر النوقاني:** ولد ســـنة 496هـ من أهل نوقان قرب مدينة بلخ، عرف بالعلم والفضل على المذهب الشافعي تصدي للفتوى والقراءات، توفى أثناء غارات الغز على قرية طوس ويقال من شـــدة خوفه من بطش الغز فقعت مرارته ســـنة 549هـ/1154م وقد نُبش قبره بعد وفاته ودفن في مسقط رأسه نوقان(الذهبي، 2006م، 89/6)
- **أبو نصر محمد بن الحسن الكوفي:** ولد في منطقة مرو سنة 488هـ كان عالما وشيخا فقيها بالحديث زاهدا ورعا مدبرا على الدنيا تتلمذ على يد الإمام أبي بكر الســـمعاني، وتوفى في مرو ســـنة 548هـ/1154م على يد قبائل الغز التي عذبته حتى فارق الحياة (السمعاني، 1986م، 2/ 104)

- **أبو جعفر محمد بن علي الموسوي:** ولد سنة 483هـ في نيسابور كان شيعيا متعصبا في بداية حياته ثم رجع للحق فترك مذهب الشيعة ودخل مذهب السنة والجماعة على مذهب الشافعية، عرف عنه العلم والفضل والعلم بالأنساب عمل في مدح أصحاب الرسول والذود عنهم بعد تحوله عن مذهب الشيعة حتى قتل على يد الغز في نيسابور سنة 549هـ/1154م وهو في سن الثانية والستين من عمره (السمعاني،1986م ، 198/2)
- **أبو سعد محمد بن يحي الجنزي:** ولد في منطقة جنزة الواقعة بين شروان وأذربيجان سنة 496هـ كان عالما جليلا وفقيها مناظرا واعضا حسن السيرة جميل المظهر، درس على العالمين الجليلين أبي المظفر أحمد الخوافي وأبي جابر محد الغزالي، أشتهر في عهده وتدافع عليه الفقهاء وزحف عليه الطلاب وتصدى للتدريس بالمدرسة النظامية بنيسابور وعهد له برئاسة القضاء وألف العديد من الكتب منها كتاب المحيط في شرح الوسيط وكتابة الانتصاف في مسائل الخلاف، وقتل على يد الغز في جامع نيسابور الجديد سنة 549هـ/1154م (السبكي، 1975م، 27/7)
- **أبو عمر اليسع بن محمد الفاشاني:** ولد في قرية فاشان في ضواحي مرو سنة 480هـ، عرف بالعلم والصلاح من أهل الفضل والإحسان محبا للخير، لما زحف الغز على المدينة ودمروا ما فيها جلبوه معهم وعذبوه حتى فاضت روحه لخالقها سنة 549هـ/1154م ودفن في قريته فاشان (السمعاني، 1986م، 2/ 394)

وهذا سرد لقليل من كثير لأهل العلم والفضل المجاهدين في سبيل الحق والذود عن محارم الله أمام آلة الحرب والتمرد في تلك الفترة والتي لا تحتكم للعقل والمنطق والقيم والأخلاق في التعامل مع رجال العلم والدين، فما كان منهم غير القتل والحرق وتكميم أصوات الحق ليرسموا صورة مؤلمة لتوقف مسيرة العلم وتدمير ملامح دور العبادة ومؤسسات التعليم الناتجة عن حربهم للسلطان والتمرد عليه ومسح معالم العلم والمعرفة في إقليم خراسان.

كما لم يسجل التاريخ على علماء إقليم خراسان الذين تعرضوا لهجمات الغز الوحشية خيانة لدينهم أو لوطنهم ولسلطانهم وولي أمرهم على حساب تمكين قبائل الغز من حكم إقليم خراسان والعبث بمصير أهلها بل على العكس من ذلك فقد بذلوا الغالي والرخيص وضحوا بأنفسهم وتعرضوا لأشد العذاب والحرق في سبيل الذود عن أعراض الناس والحفاظ على دينهم ومقدساتهم والصبر على ما أصابهم حتى ارتقوا إلى ربهم شهداء.

الخاتمة:

كانت الحروب والنزاعات وإخماد الثورات وهزيمة الخصوم المناوئين لحكم السلطان سنجر في خراسان وما حولها حجر عثرة في مواجهة قبائل الغز المتمردة في إقليم خراسان، حيث وجد السلطان سنجر نفسه منهكا من تداعيات دفاعه عن ملكه، ومن ناحية أخرى تبددت قوته وضعفت عزيمته وكبر سنه في مجابهه قبائل تحتاج لنفس طويل وصلابة وحزم، فهي مدربة على الغدر والخداع وعدم التفريط في أماكن عيشهم.

استفادت قبائل الغز خلال تمردها على السلطان سنجر في خراسان من ضعف حاشية السلطان ومعاونيه، فقد تلاعبت بهم من خلال أساليب الغدر واستجداء العفو وإظهار الولاء وعدم القدرة على حمل السلاح في وجهه سلطان خراسان وجنده واستعدادها للتعويض ودفع دية جامع الجزية في ظل اختلاف أمراء السلطان سنجر وجنده في خراسان وسعيهم لتحقيق مكاسب شخصية ودفع السلطان نحو قتالهم والتنكيل بهم لرد كرامتهم بعيدا عن مصلحة السلطان سنجر وسلامة أراضي الدولة من التمرد والنزاعات والفتن وتغليب مصلحتهم على استقرار البلاد وأمنها.

لم تكتفى قبائل الغز بالاستيلاء على حكم السلطان سنجر في خراسان والتصرف في دولته وإقطاعاتها وتقويض سلطته بل انعكس فعل حبس السلطان على النظام السياسي برمته واحدث فراغا سياسيا انهارت بسببه الدولة السلجوقية، فقد ساهم ذلك في تدنى الخدمات في كل إقليم خراسان ونشطت الحركات الانفصالية وزاد نشاط قطاع الطرق واختفت القوافل التجارية بين المناطق الداخلية والمسارات الخارجية، كذلك زادت أساليب الحرب الهمجية لقبائل الغز من حرق الأخضر واليابس وتدمير ما يقف في طريقهم من تدنى النشاط الاقتصادي فلم تبقى الأراضي ولا العمال في مزارعهم ولم تسلم الأسواق ومخازن الغداء من الحرق والتدمير وهذا ماجعل نفوذهم يمتد كالنار في الهشيم.

لم تكتمل السيطرة المطلقة لقبائل الغز على إقليم خراسان بهزيمة السلطان سنجر وحبسه، بل تحقق النصر الكامل في القضاء على مشاعل العلم والمراكز الفكرية التي تشكل الخط الخلفي للحكم والسيطرة على مقاليد الأمور، في حين طمست قبائل الغز أصوات أهل العلم والحكمة ومناشدة العلماء لقبائل الغز و حثهم على العودة لطاعة السلطان وترك الظلم وقتل الأبرياء وتحريم أموالهم وديارهم وأعراضهم، فكان قتل العلماء وتكميم أفواههم بالتراب بمثابة الضربة القاضية لحكم السلطان سنجر والدولة السلجوقية في إقليم خراسان بعد أن عجزوا عن تكميم السنتهم التي تنطق بالحق والعلم .

المصادر والمراجع العربية:

- ابن الأثير، على بن أحمد، (1357ه) الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي، بيروت، ج4.
- الأصفهاني، عماد الدين محمد، (1990م) تاريخ آل سلجوق، دار الكتب العربية، القاهرة.
- البيهقي، أبو الحسن ظهير الدين علي، (1425ه) تاريخ بيهق، دار اقرأ، دمشق، ج1.

- ابن تغرى بردي، جمال الدين أبو المحاسن، (1978) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية للكتاب، القاهرة، ج11.
- ابن الجوزي، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي، (1922م)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دار الكتب المصرية، القاهرة،ج15 .
- الحسيني، صدر الدين أبي الحسن، (1978م) أخبار الدولة السلجوقية، دار الآفاق، بيروت.
- الحموي، شهاب الدين بن عبد الله، (1957م) معجم الأدباء، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج19.
- (2012م) معجم البلدان، تحقيق فريد الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، ج3
- خربوطلي، شكران، (2012م) الحياة الفكرية في إقليم خراسان في ظل سلاطين ووزراء العصر السلجوقي، مجلة دراسات تاريخية، الأعداد،117،118، العراق.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (1968م)، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ج5
- الذهبي، شمس الدين محمد، (2006م) سير أعلام النبلاء، تقديم محمد الشبراوي، دار الحديث، القاهرة، ج 4
- الرواندي، محمد بن علي، (1960م) راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية، نقله عن الفارسية إبراهيم الشواربي وعبد المنعم محمد، دار القلم، القاهرة.
- الزركلي، خير الدين (1984م) الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت.
- الزياني، إبراهيم وآخرون (1961م) المعجم الوسيط، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- سرور، محمد، (1985م) تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق، دار الكتب، القاهرة.
- السمعاني، عبد الكريم بن محمد (1986م) التحبير في المعجم الكبير، تحقيق منيرة ناجي، رئاسة ديوان الأوقاف، بغداد، ج2.
- الصفدي، صلاح الدين خليل، (1979م) الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الارناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ج6.
- طقوس، محمد سهيل(2016م) تاريخ السلاجقة في خراسان وإيران والعراق، دار النفائس، ط2.
- ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن أحمد (1987م) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار ابن كثير، بيروت، ج6.
- ابو الفداء، إسماعيل(1980م) المحتصر في أخبار البشر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ج2
- الكتبي، محمد بن شاكر(1977م) عيون التواريخ، تحقيق فيصل السامر، وزارة الاعلام، بغداد، ج12.
- ابن كثير، أبو الفداء الحافظ،0(1985م) البداية والنهاية، تحقيق أحمد أبو ملحم، دار الكتب العلمية، بيروت، ج12.
- لسترنج، كي(1954م) بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرنسس وكوكيس عواد، مطبعة الرابطة، بغداد.
- متز، آدم (1967م) الحضارة العربية، ترجمة عبد الهادي أوريدة، بيروت، ج2
- مصطاف، ثامر نعمان(2019م) التحديات العسكرية التي واجهت حكم السلطان سنجر وأثرها في إضعاف السلطة السلجوقية، مجلة كلية التربية، العدد السابع والثلاثون، العراق.
- المقدسي، أبو عبد الله محمد (1991م) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولي، القاهرة.

- المقريزي، تقي الدين أحمد (1990م) السـلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ج 3.
- ابن النظام، محمد بن محمد(1979م) تاريخ السلاجقة، ترجمة وتحقيق عبد المنعم محمد، مطبعة بغداد، بغداد.
- هايد، (1985م) تاريخ التجارة في الشـرق الأدنى في العصـور الإسـلامية، ترجمة أحمد محمود، مكتبة دار العلوم، القاهرة.
- ابن الوردي، زين الدين بن عمر (1970م) تاريخ ابن الوردي، تحقيق أحمد الدراوي، دار المعرفة، بيروت، ج2.